طبعة مزيدة ومنقحة

انتقاءات : مزايا المكتبات الخاصة وآفاتها

من كتاب:

العلماء العرب المعاصرون وآفات مكتباتهم

أحمد إبراهيم العلاونة

دار البشير
جدة

ⓒ دار البشير للنشر والتوزيع ، ١٤٤٧هـ

العلاونة ، أحمد إبراهيم

العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم. / أحمد إبراهيم

العلاونة - ط٢. .- جدة ، ١٤٤٧هـ

٣٧٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٧/٧٢٢

ردمك: ٢-١٩٤٤١-٥٠٥-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

«مزيدة ومنقَّحة»

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

للتواصل:

المملكة العربية السعودية

دار البشير للنشر والتوزيع - جدة

- ٠٥٠٣٦٣٧٥٨٠

- ٠٠٩٦٦٥٠٣٦٣٧٥٨٠

بيع بعضها بسبب الفقر، أو قد يبيعها؛ لأن ورثته ليسوا من أهل العلم.

ومكتبات العلماء ليست كبقية المكتبات الأخرى، فكتبها منتقاة بعناية، ويتخيَّرُ لتجليدها أفخم أنواع التجليد. وإذا كان للكتاب أكثر من طبعة، فغالباً ما تجد فيها أفضلها، ثم إنها تضم نفائس الكتب المطبوعة والمخطوطة. وقد ترتقي هذه المكتبات إلى مستوى يجعلها قبلة للباحثين، وتصبح ملتقى لأهل العلم، كما هو الحال في مكتبة الشيخ محمد نصيف بجدة، والأستاذ محمود محمد شاكر بالقاهرة، ثم إنها تمثل ميول أصحابها وأذواقهم.

وإن أهم شيء يميز مكتبات العلماء تعليقات وحواشي كُتبها التي تكون تعبيراً عن رأيهم العلمي، سواء أكان ذلك نقداً أم شرحاً أم إضافة أم توضيحاً. وقد يكون فيها ترجمة بعض مصنفيها، أو التنبيه على فوائد فيها. فبعض الكتب المحققة ـ خصوصاً دواوين الشعر القديمة ـ قد قامت على تصحيحات العلماء وتعليقاتهم التي قيدوها. وأي خدمة للكتاب أفضل من التعليقات؟ فالتعليقات نوع من التأليف، وقد يكون المعلق أعلم من مؤلف الكتاب أو أدرى منه في بعض جوانب الموضوع. ويروي الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» قول الإمام الشافعي: «إذا رأيت الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهد له بالصحة»[1].

ثم يأتي بعد ذلك الإهداءات المكتوبة بأقلام المؤلفين والمحققين الموشاة على طرر الكتب، وهذا يرفع شأنها ويزيد في ثمنها إذا بيعت، كأنّ الكتب كتبت بأقلام مؤلفيها.

ولا ننسى الوريقات التي يضعها المؤلف أو المحقق أو مالك الكتاب داخله، وتسمى الطيّارة، التي تتضمن تعليقات وإضافات وفوائد، وقد تجد فيها شعراً لشاعر لم ينشر، وكذلك الكتابات التي تكون على أغلفة الكتب التي غالباً ما تكون فهارس للكتاب، أو إشارات إلى الفوائد والنقود.

(١) الكتب العربية النادرة ٧٥، نقلًا عن الجامع لأخلاق الراوي والسامع ١/ ٢٠٨.

مزايا المكتبات الخاصة

تنبع مزايا المكتبات الخاصة من أهمية صاحبها، وتخصصه العلمي، واهتماماته الموضوعية، وقد يكون بعض العلماء جمّاعاً للكتب، وقد تكون المكتبات الخاصة متوارثة أباً عن جد، أو متوارثة عن أخ. ومن أهم ما يميزها:

- كثرة كتبها لطول المدة الزمنية في اقتناء الكتب.

- التعليقات على الكتب، وهي أفضل خدمة للكتاب، فما من شك في أن عدداً كبيراً من الكتب تتكرر في مكتبات العلماء - خصوصاً كتب التراث - غير أن ما يميزها كثرة التعليقات، فتعليقات العالم الفلاني قد تختلف عن تعليقات العالم الفلاني الآخر، وقد يضطر العالم عند تجليد الكتب إلى إضافة صفحات بيض على الكتاب لتتسع لتعليقاته. ومما تحويه التعليقات: الزيادات التي تستكمل النقص، والشروحات التي توضح المبهم من النصوص، والتفسيرات التي تبين معاني الكلمات، والتصحيحات التي تصحح الأخطاء الواقعة في الكتاب، والتقريظات، وهي مدح الكتاب في مواضع متعددة أو في بداية الكتاب أو نهايته. وممن اشتهر بكثرة التعليقات: محمود محمد شاكر، وأحمد راتب النفاخ، ومحمد بن عبد العزيز بن مانع، وروكس العزيزي، والدكتور شاكر الفحام، ومحمد عبد الحي الكتاني، وعبد الفتاح أبو غدة، وزهير الشاويش، ومحمد بهجة الأثري.

- حسن اختيارهم للطبعات؛ فمعلوم أن لكتب التراث طبعات مختلفة، والعلماء يختارون أصحّها وأضبطها، مما يُعدّ تزكية للطبعة، وقد يكون في مكتبة العالم جميع الطبعات لكتاب ما.

ـ احتواؤها نوادر المخطوطات، وقد يكون فيها نسخ مفردة لا ثاني لها من المخطوطات؛ ككتاب: «الإعلام بتاريخ الإسلام» لأبي بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة الأسدي بخطه، كان في مكتبة الشيخ أبي اليسر عابدين بدمشق، وبعض ما طُبع من مخطوط حُقق على مخوطات مكتبات العلماء؛ ككتاب «الدر الثمين في أسماء المصنفين» لابن أنجب الساعي، الذي حققه الدكتور أحمد شوقي بنبين، ومحمد سعيد حنشي على نسخة فريدة بمكتبة الشيخ محمد عبد الحي الكتاني. وحقق الدكتور عبد العزيز المانع كتاب «ترسل ابن قلاقس»، الذي حققه الدكتور عبد العزيز المانع على نسختين، إحداهما نسخة قديمة متقنة كانت بمكتبة الزركلي كُتبت سنة (٥٩٢هـ).

ـ احتواؤها على النادر من المطبوع، سواءً أكان من الطبعات القديمة الأصلية، أم الطبعات المحدودة، وأذكر أني لقيت الأستاذ علي الصوينع أمين مكتبة الملك فهد الوطنية في معرض القاهرة (٢٠١٠م)، وتحدثنا عن المكتبات الخاصة فقال لي: «إننا نبحث عن بعض الكتب، فلا نجدها إلا في مكتبة الشيخ عبد الله بن خميس، المحفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية».

ـ احتواؤها على كثير من الدوريات القديمة، وقد تكون عندهم أعداد كاملة لبعض المجلات.

ـ كثرة الإهداءات بخطوط المؤلفين، خصوصاً إذا كانت من مؤلفين مشهورين، وهذه تفيد المعنيين بالخطوط، وقد صورت مئات الإهداءات من المكتبات الخاصة لكتابَي «المستدرك على الأعلام ـ الخطوط والصور»، و«ذيل الأعلام». والإهداءات تزيد من قيمة المكتبة وأهميتها.

ـ المحافظة على الكتب وتجليدها.

آفة المكتبات الخاصة

المكتبات الخاصة تظل مصانة ما دام صاحبها حيّاً، أما آفاتها فتكون بعد وفاة أصحابها، ومن تلك الآفات:

- قلة عناية الورثة بمكتبات آبائهم. وقد يتخلصون منها بشكل مهين، فقد صادفت بعض كتب أديب أردني مرموق تباع على الرصيف بعمان بثمن زهيد، فقلت لمن يبيعها: هل اشتريت مكتبته؟ فأجاب: نعم، وما لبث أن قال لي: الصراحة إني وجدتها قرب إحدى حاويات النفايات. وقال لي أحد الأدباء ومؤرخي الأدب بمصر: إن زوجتي توفيت قبلي، ولو توفيت قبلها لما ترددت في أن تحضر عمال النفايات، وتعطيهم مالاً ليخلصوها من الكتب.

- بيعها من قبل تجار الكتب. وهؤلاء يشترونها بتراب الفلوس ليبيعوها بالذهب المصفى. بل يتعدى بهم الأمر إلى ان يدلسوا على الجهة التي تشتري المكتبة بإيهام القائمين عليها أنها كاملة، وهم في الحقيقة يبيعونها على دفعات ولجهات مختلفة.

- إهمالها وسوء تخزينها من قبل الورثة. فقد يحتفظ بها الورثة في صناديق وفي أماكن لا تصلح لحفظ الكتب مما يعجّل بتلفها.

- تجزئتها وتشتتها. فقد تقسّم الكتب على الورثة، وسمعت أن بعض ورثة عالم اختلفوا على قسمة كتب والدهم، فاستعانوا بمن قضى بينهم، فوزّع الكتاب ذا الأجزاء الكثيرة ككتاب الأغاني على الورثة، فنال كل واحد منهم أجزاء، فتشتت الكتاب كما تشتتت المكتبة من قبله، وقد تتشتت المكتبة ببيع كتبها فُرادى.

هذا، ولا نجد التفريط يحصل في المكتبة عندما تهدى أو تباع من قبل الورثة؛ إلاّ أنهم في الغالب غير مهتمِّين بالكتب أو مقدِّرين لقيمتها، فيفرطون فيها بسهولة!!.